مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 04، ديسمبر 2022، صص: 223- 234

تاريخ الاستلام(2022/07/06)تاريخ القبول (2022/12/08)تاريخ النشر (2022/12/30)

تجليات شعرية اللغة في نثر نزار قباني

Poetic Manifestations of Language in the Prose Of Nizar Qabbani Of Nizar Qabbani

د. قطواش الضاوية[1]، أ.د/ فنطازي محمد[2]
مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات
1جامعة عمار ثليجي، الأغواط (الجزائر)، d.katouache@lagh-univ.dz
2جامعة عمار ثليجي، الأغواط (الجزائر)، mfantazi@yahoo.fr

ملخص:

تبدو لغة نزار قباني في نثره بأبعاد متعددة مختلفة، وبعلامات خاصة مميزة تكشف في كل مطلع نثري عن صياغات تضعك في فضاء مفتوح على التقابل، تعدد الدلالات، التشابه، التشابك، والتداخل. ويخرج بك في كل مرة إلى جوهر اللغة المحفوظ والغني بالمعاني الكامنة، معبرة عن الصراع، التناقض، والتكثيف. وهذا المقال يهدف إلى البحث في شعرية هذه اللغة، إنها اللغة النزارية بما تحمله من مقومات جوهرية تعكس ذلك التشكيل المنتظم بمستوياته؛ فهي تعد شحنة تنتج معاني متميزة بكثافتها وآليات مولدة لجمالية فذة. والإشكال المطروح: كيف تجلت شعرية اللغة في النثر النزاري؟ في ظل هذا الفضاء المميز الذي يحيلك إلى كسر خطية معتادة والولوج إلى ماهو غير متوقع، كيف طبعت شعرية اللغة بتداعياتها داخل المتن النزاري؟ كيف استطاعت اللغة بخصائصها وإيماءاتها أن تشكل أبعادا شعرية في هذا النثر؟

كلمات مفتاحية: تجليات؛ الشعرية؛ اللغة؛ النثر؛ الفنية؛ نزار قباني.

Abstract:

Nizar Qabbani's language appears in his prose with many different dimensions, and with distinctive special signs that reveal in every prose beginning formulations that put you in a space open to contrast,

المؤلف المرسل: قطواش الضاوية، الإيميل: d.katouache@lagh-univ.dz

multiplicity of connotations, similarities, intertwining, and overlapping. It brings you out every time to the preserved and rich essence of language with latent meanings, expressing conflict, contradiction and intensification.This article aims to investigate the poetics of this language. It is the Nizari language with its essential elements that reflect that regular formation with its levels. It is considered a shipment that produces distinct meanings with its intensity and mechanisms that generate unique aesthetics. The question raised: How did the poetic language appear in the Nizari prose? In light of this distinctive space that leads you to break the usual linearity and access the unexpected, how did the poetic language with its repercussions imprint within the Nizari text? How was the language, with its characteristics and gestures, able to form poetic dimensions in this prose?
Keywords: Manifestations; poetry ; Language ; prose ; artistry ; Nizar Qabbani.

1. مقدمة:

عندما نتحدث عن الإبداع النزاري، فإن الأمر يتعلق بشهية ورغبة في الكتابة مكتملة منسجمة في كيانها، وراء خط دقيق حيث تختفي تلك الأفكار المحملة بالصور، التكثيف والتجاوز، صياغات نزار مرنة متعددة الدلالة، وبمعناها النثري أكثر استجابة وإقناعا، تؤهل كل أفكاره إلى التحول إلى مرحلة تتمثل فيها الشعرية بمدلولها الجمالي.

في نصوص نزار خفايا داخل خلايا الكلمات، تمثل البناء الأساسي الذي يحيلك إلى عملية إنتاج فكرية تحمل رؤيا فنية تحتاج إلى قارئ-وبمعايشة دائمة لتلك النصوص- ليدرك مدى شساعة ذلك المجال الفكري المعرفي الذي لا يفقد فعاليته الفنية على الإطلاق، وبذلك تبدو نصوص نزار بخصوصية منفصلة عن غيرها، تحمل الإثارة والمتعة، وتقودك إلى صور وأفكار ومشاهد كلية مفعمة، تجتمع فيها بنى مركبة لا يستوعبها إلا قارئ لديه قدر من خصوبة الفكر، واتساع الأفق.

2. اللغة الشعرية ونثر نزار قباني:

تحتل اللغة الشعرية في المتن النزاري مساحات واسعة، بأنساق لغوية تمتلك فيها الكلمة السلطة بأداء مميز وفريد، بنكهته الساحرة يشدك ويلهمك بكل شيء، وبمقاييس تحمل المتعة. إنه مخزون فكري تتلاحم فيه الرؤى وتتدفق الأفكار، محكم الأبعاد وبمستوى فكري عال.

لغة شعرية متقنة وبفنية عالية، تفتح فضاء تواصليا مفعما بالحركية، وذلك بالتزامها الخرق المبدع، اختلاف وائتلاف يؤكد على ذلك النظام النسقي المتزن الذي لا يخلو من الجمالية. فنية تنعكس حالات وانفعالات تجعل القارئ ينغمس في كل كلمة على حدى ليدرك مدى قوة هذه

اللغة وشعريتها، وارتباطها بأهداف مترامية الأطراف، فـ" الشعرية توجد في الشعر والنثر على حد سواء، فهي تعتمد على ما تنتجه الكلمات من التواصل الشكلي الذي يولد كثافة ثقافية أو شعورية يستحيل وجودها بدون تلك الألفاظ. فالمفردة ليست شعرية فيها بذاتها وإنما تقتصر وظيفتها على كونها إشارة لشيء ما، وتكسب شعريتها بدخولها مع مفردات أخرى تشكل معها علاقة شعرية"[1].

وما تحمله اللغة الشعريةفي نثر نزار من حرارة، يجعلها معطفا لغويا تلبسه الكلمات، تدفع القارئ دفعا للغوص بعمق في عوالم الكتابة، فكل النصوص التي نقرؤها تطفح وتصرح بالبساطةو التلاحم. إنها نصوص مبطنة برؤية ثاقبة، وبرقي لغوي لا ينضب، فالكلمة المكتوبة فيها أرضية شاسعة بقوة تعبيرها، يتلاحم فيها الواقع السياسي المأساوي، الاجتماعي، الوطني، بملمس شعري فياض، وجمالية متضاربة في قوة تأثيرها، وهنا مكمن الشعرية ذلك أن " الموضوع الرئيسي للشعرية هو تمايز الفن اللغوي واختلافه عن غيره من الفنون، وعما سواه من السلوك القولي"[2].

هكذا فإن اللغةفي نثر نزار وباعتمادها على الترابط الجوهري والخاص بين الكلمات تجعلنا نلمس ونستوعب من خلالها دلالات مبطنة ومختفية. لغة في شكلها وأساسها تتقاطع عناصر مع عناصر لتؤسس بنيات مختلفة، ببساطتها يمكن اعتبارها سهلة ممتنعة ثرية في نفس الوقت متعددة المآخذ، لأنها تلتقط دلالاتها من واقع بسيط، بكيفيات تعبير تستمدها من ذلك الوسط المعيش،الذي به تتجاوز إلى معاني ودلالات تصب في مجهود فكري إنساني ." تلك اللغة التي يتعامل معها نزار معاملة رومانسية، تحتله ويحتلها تنغرس في قلبه ويفرزها في نفثات حارة، ومن خلال ذلك ابتكر نزار ما أسماه بـ" اللغة الثالثة .... هذه اللغة التي تأتي بسيطة في تكوينها، سهلة في فهمها واستيعابها، ولكنها صعبة في صنعها أي أنها من السهل الممتنع"[3].

فشعرية اللغة في النص النزاريتشابك، تلاحم، تعالق وتلاعب بالكلمات، وبمقاييس متشاكلة: الرجولة/ المرأة/ الحب/ الوطن/ اللذة، كلها في قالب واحد ولحمة واحدة. شعرية اللغةمرهقة ممتعة ومحتالة، سلاحها الكلمات، وفي سطورها تشم رائحة العطر، الصفحات، الضحكات، وكل شيء مبعثر ليعود بك فيلتئم ويجتمع في شكل واحد شكل مختلف يحبس الأنفاس.

3. نماذج تطبيقية:

يقول نزارقباني: " إنني أكتب لتصبح مساحة الفرح في العالم أكبر ومساحة الحزن أقل"[4].

تضاد وبملكة لغوية بسيطة وفريدة من نوعها، لا تحتاج الكثير لإيصال المعنى والكتابة سوى مساحة الفرح، فهو يكتب لتصبح هذه المساحة أكبر، وتتقلص بدورها مساحة الحزن. بل هذه طريقة تؤهله لفتح باب الكتابة فالكلمة جزء منه، وبإشارة منه ترسم مساحة وتقلل أخرى، طريقة الكتابة إنسانية لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات، تصبح مضمون رسالة الكتابة بعالم مباشر ولا محدود في آن واحد، كتابة مستمرة بأصواتها، كلماتها، موسيقاها، لمحو نبرة الحزن ونشر الفرح عبر ربوع العالم.

إن هذا التضاد فتح صفحتان للكتابة، إحداهما مشعة والأخرى قاتمة ولكن المشعة بشروطها وظروفها الملائمة وبشكلها تقلص مساحة الحزن. كتابة بمجال حيوي تحمل معاني وحقائق هادفة تنشر عبر العالم، هذه الكتابة التي يقصدها نزار ذات معنى وفكرة ومهارة، تخدم عملية تواصل وتبادل مستمر بين شعوب العالم، فتتجسد من خلالها حقيقة الشعرية، فالشعرية كما يرى أدونيس " هي قراءة للعالم وأشيائه وهذه القراءة هي في بعض مستوياتها قراءة لأشياء مشحونة بالكلام، ولكلام مشحون بالأشياء، وسر الشعرية هو أن تظل دائما كلاما ضد كلام، لكي تقدر أن تسمي العالم وأشياءه أسماء جديدة، أي تراها في ضوء جديد، اللغة هنا لا تبتكر الشيء وحده، وإنما تبتكر ذاتها فيما تبتكره ... وحيث الشيء يأخذ صورة جديدة ومعنى آخر"[5].

إن هذا التقابل الضدي الذي وظفه نزار أسس لاتجاهين مختلفين في الكتابة غلب فيه واحد على الآخر، كما ساهم في إبراز قيمة الكتابة، وتكثيف الأفكار وتركيزها بطريقة تسمح للقارئ إدراك تلك الأبعاد الخفية. تتخذ النصوص النثرية عند نزار تشكيلات بأنساق وتقسيمها وثنائيات ضدية، وتكرار يحتوي على إمكانيات خرق، مبنية بمركزية معبرة عن ذلك الكل الإنساني، فتنتج المضامين قيما محققة بلغة شعرية كاملة، منسجمة ومتكاملة، وتكون مواقعا ترصد تحولات الذات بلغة لا تنشطر عن المجتمع، بل تكتسب حضورها وتأثيرها بكل محطات الرفض والقبول، الجدل والمعارضة.

يقول نزار قباني: " الشعر هو حفلة الألعاب النارية التي تشعل الماء ... وتشعل الشجر وتشعل اللحظات وتشعل اللاعبين والمتفرجين معا"[6].

فالشعر في نظر نزار شرارة قوية بمكانة ثرية، يؤسس لوعي خالص، إنه حفلة الألعاب النارية تشعل الماء والشجر واللحظات واللاعبين والمتفرجين معا، إن تكرار كلمة (تشعل) تجعل من الشعر ينقطع في كل لحظة من اللحظات عن كينونة سابقة إلى كينونة جديدة، تارة يمثلها الماء فيشتعل، وتارة الشجر لتضرم فيه النار،وتارة أخرى تشعل اللحظات.

كل كلمة من الكلمات تشكل سيرورة خاصة وحيزا يمر فيه الشعر، فينطبع في كل مرة بطابع غير الأول، إعادة تمثيل وتقرير لماهية تدرك من خلالها أصالة الشعر وإنتاجيته العظيمة، ففي كل يشعل ليضيء، يجسد ويحدد لينبثق منه الكثير، هكذا هو الشعر كلمات مكتوبة ولكنها حالمة متجددة في مرة، تكرار صور في كل مرة رؤية حددت انفعال الذات الشاعرة، ونمطية تكرارية بتنظيم موحد يضعك في كل مرة أمام محور مهم، إنه يكشف ذلك التكثيف الروحي الواعي والوجداني الخالص، الذي يحدثه هذا الشعر في كل مرة، إشعال تتعدد فضاءاته وتختلف، ولكنها تصب في فكرة أو ماهية محددة هي: ماهو هذا الشعر؟ فالشعر حفلة الألعاب النارية تشعل (الماء، الشجر، اللحظات، اللاعبين والمتفرجين).

فلغة نزارباحتواءاتها المختلفة لا تتميز بالتعقيد، بل تجمع بين الفنية الشعرية وتؤسس مقاربات خاصة مهيكلة تطرحها بعمق في كل ثنايا النصوص، إنها بحق أشكال من الإبداع وبآليات تضمن تشكيلا فنيا مغايرا، فـ" الكلمات إذن هي فضلا عن كونها إبداعات إنسانية داخل سياقها، فلها أيضا حياتها الخاصة بها، فنحن خالقون لها، وهي خالقة لنفسها، لذا فهي تضفي على السياق شيئا من إيحاءاتها، فضلا عن إضفاء السياق عليها شيئا من الخصوصية، لأنه يحدد معناها ومن ثم دلالتها "[7].

ولعل معنى هذا يبدو جليا في تبادل الأدوار بين الكلمتين (لا، ما) والسياق بشكل متواتر في قول نزار:" لا يمكنني أن أتصور شعرا لا ينحاز إلى جانب ما ... لا يتخذ موقعا ما ... لا يقاتل من أجل رأي ما ... لا يرفع سيفه لرفع الظلم عن إنسان ما ...."[8]. فهنا تبرز تجربة كبيرة تختزن في داخلها نمطية عالية من الإدراك والتفكير، من خلال هذه العبارات، ولا يمكن لنزار أن يتصور وجود شعر دون هدف، فما من شعر إلا وله رأي معين أو ينضوي تحت جانب من الجوانب، ولا يوجد شعر لا يقاتل من أجل غاية. دور كبير يحمله الشعر بأبعاده الروحية النفسية، الاجتماعية والثقافية معبرا في نهاية المطاف عن التحولات التي يعيشها الإنسان، فتلتحم خيوطه من أجل نسج قضية واحدة هي رفع الظلم عن الإنسان.

وتكرار "لا" هو صياغة تتماهى داخل الذات مع أشياء الوجود، لتعيد صياغة نفسها من جديد، وما تنفك لتؤكد أنه لا يمكن أن نتصور وجود شعر من عدم، فلا بد له من مشهد، وأفق تفاعلي يثبت من خلاله وجوده.لا يمكنني أن أتصور شعرا لا (ينحاز، يتخذ موقعا، يقاتل من أجل رأي، يرفع سيفه). مشروع للطرح يجعل من الشعر ذلك النسيج الذي يحمل بتشكلاته سيرورة مفتوحة في فضاء متعدد، فإما الانحياز أو اتخاذ موقف، أو القتال أو رفع الظلم.

إن تكرار "لا" عمق سمات وأبعاد ما وراء النص، جاعلا الشعر في تعالق دائم مع الإنسانية والوجود. كما أن التكرار بما يحويه من عمق يمس المعاني ويبرز حالة نزار، فإن الشعرية تصاحب نصه باستجابة نفسية باعتمادها على لغته " الشعرية استجابة نفسية مصاحبة للنص، وهي تعتمد في الأساس على اللغة كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الوجداني أو الانفعالي، ولا تقف عند حد إثارة المتعة في نفس المتلقي"[9].

و نذكر من النماذج الأخرى الكثيرة التي يبرز فيها التكرار فاتحا الأفق لاتساع المعاني والدلالات، قول نزار: " وأكتب الشعر كما لا تدري السمكة كيف تسبح ...والأرنب كيف يقفز ... والنهد كيف يخالف قانون الجاذبية الأرضية "[10].

لا يصور لنا هذا النموذج كيفية الكتابة بقدر ما يصور شغف نزار للكتابة ذاتها، إنه مجبول عليها مثله مثل السمكة لا تدري كيف تسبح ولكنها تسبح، والأرنب لا يدري كيف يقفزو لكنه يقفز، والنهد هو الآخر لا يعرف الطريقة التي يخالف بها قانون الجاذبية الأرضية ولكنه يخالف. طريقة في الكتابة تقودك إلى استيعاب مسبق وممحص لأحوال ووقائع مختلفة، متشكلة في كل مرة بطريقة خاصة.

مقارنة شكل فيها تكرار (كيف) محورا، جمع التقاسيم المشتركة بين هذه الجمل، وفي حقيقة الأمر أن هذا التكرار في كل جملة يقودك إلى الإمعان في اشتغال عناصر أساسية تكوينية داخل النص. حمولة بأسرارها تبني كيفية كتابة الشعر، وتؤكد أنها نوع من الاكتشاف الداخلي للإنسان، الذي لا يخضع لطريقة من الطرق أو تقنية من التقنيات، بل هو يولد فينا وينبع منا، مثله مثل قفزات الأرنب، وغرائز الإنسان الطبيعية التي جبل عليها، إنه يكتب ولكن ببساطة لا يعرف كيف يكتب.

أكتب الشعر كما لا تدري: السمكة (كيف) تسبح/ الأرنب (كيف) يقفز/ النهد (كيف) يخالف قانون الجاذبية الأرضية. تكرار كلمة (كيف) بطريقة متتابعة أحدثت في النص وسما خاصا، وأثرت فواعل لغوية تتحرك وتبث داخل المسار اللغوي، وتفرز أفكار غنية متلامسة متلابسة مع الواقع، وتزيل تلك المسافة بين المجال الحيوي لكتابة الشعر ومخطط البحث في الواقع،" لا بد من إدراك نقطة في غاية الأهمية هي: أن ليس ثمة كلمة توضع في سياق ما عبثا، سواء أكان ذلك السياق حقيقيا أم مجازيا، فحتى إن تغير معنى الكلمة، فإن أثرها في النفس باق، ذلك الأثر الذي في ضوئه ستتحدد الدلالة"[11].

إن أهم ما يميز نصوص نزار النثرية أنها بمعاينة تتعدى حدود الشكل إلى مفارقات بتجلياتها، تتجاذبها قدرة وإمتاع لا تستطيع الإفلات منها، معاني وكلمات لا تقف البتة أمامها

موقوف النشاط الفكري، بتقنية تتجاذبك أقطابها المميزة وبلغةشعرية تنهي الحواجز الفاصلة، نصوص ترتبط بالمفارقة وتحقق المنافرة وتخلق الحيرة، فـ" اللغة الشعرية قراءة رأسية لصفحات الوجود اللانهائية برؤى مغايرة"[12]. فعند استنطاق المكنونات التعبيرية لنص من هذه النصوص يكون أقرب إلى كشف عالم حقيقي، إنها غمرة تفاصيلها تقودك إلى عمق العلاقات بين البنى، نص ليس مجرد حيز سطحي تسبح فيه بل تكتسي مفرداته ببساطتها شعرية عميقة، وتفيض معانيه بتفاصيلها الدقيقة، وبرونقها المبهر، لتقودنا إلى مركز اختلفت فيه زواياالنصوص.

إنه تشخيص واستنطاق يعيش من خلاله القارئ شكلا جديدا من التجارب، فتكون الشعرية في النثر النزاري بؤرة لتفجير خطاب ملغم يخدم من خلاله الكاتب أبعادا مرجعية مضمرة داخل الكلمات، بتعبير إبداعي وبممارسة وخبرة حية " فاللغة الشعرية إذن هي انحراف عن مسار اللغة في التعبير المباشر، فالكلام عندما ينحرف انحرافا معينا عن التعبير المباشر، أي عن أقل طرق التعبير حساسية، وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما إلى دنيا من العلاقات متميزة عن الواقع العملي الخاص، فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذة، ونشعر أننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة "[13]. صيغ تجعل القارئ ينفعل ويتجاوز إلى مخرج تثويري، سلطة بلحظاتها منحصرة ومحددة بشروط يلعب فيها الوعي دورا تفاعليا كبيرا، يجمع الكاتب والقارئ في مشروع جديد تحمل ملامحه التغيير.

يقول نزار:" وظيفةالقصيدةهيخلخلة العلاقات القائمة بين الإنسان والكون.. لا تثبيتها.. والمصالحة معها..."[14].

مقاربة بخصوصياتها لصيقة بوظيفة القصيدة، وبآليات مختبئة ما وراء اللغة، ممارسة كتابية تحمل في طياتها الخلخلة لا التثبيت بين العلاقات الإنسانية والكون، وهذه وظيفة القصيدة بتصوراتها ومفاهيمها وما تحمله. خلاصة تجربة يعيشها الإنسان فتعمل على خلخلة وزعزعة ذلك التلاؤم، لاتثبيته، لتعيد تلك التجربة داخل الإنسان، فتسكن عميقا في الجذور وتهزه من جوانب مختلفة فهذه الخلخلة التي تحدثها القصيدة تقودنا إلى جانب آخر، وحقل جديد يكشف عن سلطة أخرى داخل الذات تبنيها القصيدة، نلمس دقة متناهية في مجمل العلاقات بين الكون والإنسان، يحدث فيها نوع من الحركية الحسية، لتشكل بذلك توظيف محكم الدلالة ينتهي في الأخير إلى إحداث توازن بعد تلك الخلخلة.

فما لعبته الكلمتان(خلخلة) (لاتثبيتها) جعلهما تبثان سيرورة حركية عبر النص، وتؤسسان لفضاء مغاير داخل النص، فكأنما هناك ثبات داخلي للأنا، ووظيفة القصيدة هي خلخلة العلاقات لإحداث سلطة في العمل، بانعكاساتها اللاواعية على الفرد والمجتمع،" كما أن

قوة اللغة في أنه يمكن للكلمات أن تعني أكثر مما تشير إليه أو ترمز إليه مباشرة، لأنها قد ترمز إلى أشياء غير مباشرة بل قد تكون المعاني فيها رمزا"[15]. وما يمكن تجسيده من خلال هذه اللغة الشعرية عند نزار هو أن القارئ دوما في استنباط لهيئة فنية جمالية لا يخلو منها هذا العمل النثري، نثر يعكس الواقع بطرق مغايرةوبلغة شعرية يشدها الاتفاق والمقارنات في حديثها الباطني.

لغة متمكنة تخضع القارئ بكل تشكلاتها باحثة دوما عن ارتباط يحدث الدهشة بمسافات جمالية في تحولاتها، تفتح تفاعل ديناميكي مؤطر، يجسد وجه الواقع بدلالات وعلاقات وتحولات وتغيرات ليؤسسها بأطر ميزتها البساطة والعفوية،" هذا التراوح الديناميكي الخلاق والفعال يخلق نوعا من الطاقة الحيوية التعبيرية داخل الذات تتجاوز السطحية الواقعية الأحادية للأشياء إلى العمق الوجودي، حيث تتماهى الذات مع أشياء الوجود، لتعيد صياغة نفسها من جديد عبر السياق اللغوي ذاته"[16].

إنها وجه يحفظ فنية راقية، تجذب المتلقي بإغراقها، تواصلها وتفاعلها، هكذا هي اللغة الشعرية في نثر نزار: بناء كامن في تشكيلاته يحمل أسسا بنسيج لغوي خاص، من خلال استثمار معطيات متعددة ليؤسس مقومات فنية شعرية.

يقول نزار: " من منا لم يخدش السماء بأظافره ؟ "[17].

إغداق شعري متواصل وانزياح دلالي خرج عن المألوف المنسجم وكسر قيودا لغوية معتادة فاتحا بذلك تحركا دلاليا خصبا، ووجودا يتشرب منه المتلقي أحلى الإبداعات. إنها نكبة حزيران بتمثيل لغوي متواتر وبمركزية مكثفة، من منا لم يخدش السماء بأظافره؟ وهل تخدش السماء؟ في الكلمات خصوصيات كامنة، حزيران جرح وألم إلى حدود ملامسة السماء، وخدشها بالأظافر.

فيبقى ذلك الأثر بارزا متوغلا في عمق السماء، صورة بإحساسها وعمقها تخاطبك بدفقة شعورية حادة، وتنهض بمستوى من التحفيز لعيش ذلك الألم الذي ينخر الذات، فيبقى فيها ذلك الأثر، يفضي هذا الموقف العميق إلى تحريك الأحاسيس والدفع بها دفعا إلى استجابة محزنة، فيضفي المناخ الشاعري بانطباعاته وانفعالاته وأفكاره نظاما لغويا خاصا يجعلك تلج إلى روح النص، بأسلوب فني متمركز، وبألفاظ شاخصة قوية تبسط سلطتها لتؤكد عمق المأساة وأثر النكبة الحزيرانية. إن نزار هنا ليس في مقام كاتب أومؤرخ، إنه بحجم فنان صادق يكشف الحقيقة في ضوء لغة شعرية متميزة، تمدجسورها معلقة بحبال أدقالتفاصيل والجزئيات اليومية لترفعها إلى مقام يحضر فيه المعطى الجمالي،" الكتابة الإبداعية إن لم تأخذ طريقها صوب المجهول ستسقط في التكرار ولا تغدو كشفا، ذلك لأن الكشف يرتبط بالخلايا الغامضة

والحية في رحم هذا الكون"[18]. إنها لغة غير مأخوذة من حقبة تسلسلية زمنية معينة، ولقطات ومشاهد خاصة، إنها لغة نزارية تلبس لباس الحياة.

يقول نزار:" آكل بخيالي النسيج خيطا خيطا"[19]

الكاتب أمام المتحف الحربي في اسبانيا، فماذا يحدث لنزار الآن؟ إنه يأكل بخياله النسيج خيطا خيطا، لقد استخدم اللغة بصورة حققت مقصدية بالغة الأهمية، وبانزياح جعل الخيال يأكل النسيج. صورة غدت بك إلى خاصية مبهرة تعد منبعا للشعرية، وتحسر وتذكر للأندلس الغابرة إلى درجة يصير الخيال فيها آكلا للنسيج، خرق ظهرت فيه اللغة بمستوى يعدل إلى مفهوم عميق، فنزارفي موقف تحرك فيه الفكر، وأمام المتحف يتذكر ذلك الزمن العربي فيبرز تلك الحالة النفسية بطريقة فنية.

خبايا العقل جسدت وجسمت ذلك الإحساس الذي يغمر الفكر فيحرك الخيال طافحا، آكلا بذلك النسيج، فاتحا تلك الذاكرة وبطريقة تريد بك العودة إلى تلك الحضارة العربية المسلوبة، تحسر وبملامح أضفت حركية نابضة، ملامسة بذلك حقيقة ذلك الواقع، وبكلمات انزياحية مميزة يرتبط فيها اللفظ بالفكرة، فيلوح شعاع بازغ لموقف يدمج المسافات، ويوحد الأفكار ويولد شعورا يجعلك تتلذذ بتلك المشاهد. لوحة فنية مؤلمة بجمالية كلية مكتملة الطرح، " فحينما يستعمل مصطلح الشعرية مع النثر، فهذا يعني إعطاء امتياز وخصوصية تشكيلية مسبقة للنص النثري وهو ما يجعل من الشعرية أفقا جماليا "[20].

فلغة نزار بمستوياتها وفضاءاتها باختلاف مقاطعها ومشاهدها، صورها وتقابلاتها، انفتحت على امتداد من التشابك والتراكم والتكثيف، أفضى إلى جمالية وشعرية طافحة إلى درجة تنبتر فيها كل الصياغات والتراكيب عن كل ما هو مألوف، فتحتفي بها ذاكرة القارئ فـ" الانحراف اللغوي هو وسيلة لصنع الجمال أو الصياغة الأدبية بشكل عام "[21]. إخلال شكلي ومضموني يتوجه به إلى تجاوز محكم وإلى منظومة تشد أجواءها شاعرية خلاقة.

يقول نزار: " الحرف الذي لا يعرف متى يثور، وكيف يثور نجمة مطفأة حجر ملقى على كتف الطريق "[22].

معاني مخبوءة وبإيحاءات لا تطفو على السطح إلا بقراءة ممعنة، الحرف الذي لا يعرف متى يثور، وكيف يثور هو نجمة مطفأة، وحجر ملقى على كتف الطريق. ضرب من الفنية، فالحرف إنسان يثور ويغضب وإذا لم يعرف متى وكيف يتم ذلك الثوران، فهو نجمة منطفئ بريقها وحجر ملقى. حمولة كبيرة تحتفظ بها الكلمات وتغلغل في العمق فقد أسند الثوران للحروف، وذلك يعد انزياحا، فالثوران سمة الإنسان،و قد خرج اللفظ من إطاره المستعمل

مولدا بذلك خرقا دلاليا، ومعنى جديدا، فكل الكلمات تجتاز بك حدود المعتاد إلى معنى خفي محقق، وهو أن الحرف أو الإبداع الذي لا يحدد متى وكيف يواكب ثورة مجتمعة يبقى إبداعيا يشوبه بريق منطفئ، ويبقى على الطريق كالحجر الملقى لا فائدة منه، لأن ليس له تأثير في الأحداث والظروف.

إنه استخدام لغوي وبمستوى ينتهك أسوار النظام المعتاد إلى تشكل يحقق تفاعلا وينتج صورا تخلق التأثير. هكذا تحمل اللغة في هذه النصوص الاختلاف وبتقنيات فنية، شكلت بلا إخفاق جماليات النثر النزاري، إنها جودة وسحر وشعرية منقطعة النظير.

4. خاتمة :

نلمح النصوص النزارية ببواعث جديدة نحو وجهة فنية، تفتكها الكلمات، التراكيب، والدلالات، بتوليد إبداعي مثير، وبمأخذ سهل منيع ممتنع اسمه اللغة، صياغات تحيلك في كل لحظة إلى ولوج جوهر الجمالية.إنه تناول يخلو من التعقيد، ينفر بك إلى معادل فني آخر لا يحيد عن الجمالية، وبلعبة شعرية تحمل في طياتها القدرة، التوليد، الكشف، وتحتاج إلى قارئ لديه القدرة على إعادة ترتيب الأشياء وفق رؤيا تمتلك حس المغامرة،المغايرة، المفاجأة، البحث والتأويل،موجهة وبمستويات مختلفة، وبعناصر داخلية وخارجية (لغة، إيقاع، صورة...).

وعليه يمكن أن نلخص من خلال هذه الدراسة أهم السمات الجوهرية لشعرية اللغة في نثر نزار قباني كالآتي:

- نثر نزار في بنائه يحطم الأشكال المألوفة، بالتحام خاص تتقاطع فيه الكلمات وذلك في حركية ونشاط يلبس ثوبا جديدا، وتجربة متفجرة ليست كالمعتاد، تستدعي من القارئ الانقطاع عن الآخرين، والانفراد وسط لغة مثيرة تهز الأعماق.

- تحمل الحروف،الكلمات والتراكيب تجربة بإضاءاتها المختلفة، لكنه طرح بمواصفات خاصة يجعلك تتعامل مع النصوص، تتحاور وتتجاوز بطريقة جديدة.

- يتجلى التحكم الفني في اللغة واضحا، مما يجعلها تمارس حركية دلالية تشكيلية، إيقاعية، تدفعك إلى الغوص أوالتعمق في ذلك التشكيل بكل جوانبه.

- تراكيب نزار اللغوية وتقنياته المعتمدة تتجاوز بك إلى تجانس مجمل ومفصل في ثنايا النصوص.

– في هذا النثر ملامح جمالية فكرية تفرض تقنيات محكمة فنية أو ما يعرف بالشعرية، إنها جمالية في حركة تصاعدية عبر كافة النصوص، بنمط مستحدث ومخصوص، وبصورة غير مسبوقة.

– نصوص نزارمحملة، مشبعة، مشحونة بعناصر فاعلة تتقاطع وتتداخل فيها درر شعرية، لا يجب أن يكون في نطاقها إلا قارئ بوعيه وقدراته، متجاوز ومتميز عن غيره.

– نثر نزار بلغته الشعرية تشكيل آخر، يبقيك تحت تأثير تحول منتج، وبامتداد يعزلك إلى اختيارية تتولد عنها جمالية تمس وتسبر عمق حركة الفكر الإنساني.

– لغة النثر النزاري أقل ما يقال عنها أنها لغة مفعمة بسمات ومعطيات لا تخضع للحظات ولا لنظام، تحمل كنوزا متولدة متجددة من رحم عالم فكري فني جمالي، تحمل حريته روح فنان اسمه نزار، ذلك الملهم الذي يصب أويختزل حياة إبداع في بحيرة ورقة، قاربها القلم، ومحركها الأصابع.

مراجع البحث وإحالاته:

1بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، دار الفارس، الأردن، ط1، 1999، ص 51.

2 بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط1، 2010، ص 395.

3 بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، ص 199.

4 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار، بيروت، ج 7، ط1، 1993، ص 81.

5 حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة "مفهوم الوعي الكتابي وملامحه في الشعر العربي القديم"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص 65-66.

6 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص36.

7 عشتار داود، الأسلوبية الشعرية "قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل"، دار مجدلاوي، الأردن، 2007، ص 39.

8 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 54.

9 أحمد محمد عوين، شعرية السرد في نظرات المنفلوطي، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2010، ص 16.

10 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 30.

11 عشتار داود، الأسلوبية الشعرية (قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل)، ص 40.

12 بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص 464.

13 رمضان الصباغ، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط 1، 2013، ص 147-148.

14 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 46.

15 رمضان الصباغ، جماليات الشعر العربي المعاصر، ص 142.

16 محمد الحرز، شعرية الكتابة والجسد "دراسات حول الوعي الشعري والنقدي"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2005، ص 71.

17 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 436.

18 بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص 517.

19 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 19.

20 محمد جاسم جبارة، مسائل الشعرية في النقد العربي "دراسة في نقد النقد"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص 55.

21 أمجد ريان، اللغة والشكل "الكتابة التجريبية في الشعر العربي المعاصر علاء عبد الهادي نموذجا"، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص 66.

22 نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ص 131.

قائمة مراجع البحث:

1. أحمد محمد عوين، شعرية السرد في نظرات المنفلوطي، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1،2010.
2. أمجد ريان، اللغة والشكل "الكتابة التجريبية في الشعر العربي المعاصر علاء عبد الهادي نموذجا"، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ط1، 1999.
3. بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، دار الفارس، الأردن، ط1، 1999.
4. بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية "دراسة في الأصول والمفاهيم"، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط1، 2010.
5. حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة "مفهوم الوعي الكتابي وملامحه في الشعر العربي القديم"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.
6. رمضان الصباغ، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2013.
7. عشتار داود، الأسلوبية الشعرية "قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل"، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2007.
8. محمد الحرز، شعرية الكتابة والجسد "دراسات حول الوعي الشعري والنقدي"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2005.
9. محمد جاسم جبارة، مسائل الشعرية في النقد العربي "دراسة في نقد النقد"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013.
10. نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار، بيروت، ط1، 1993، مج7.